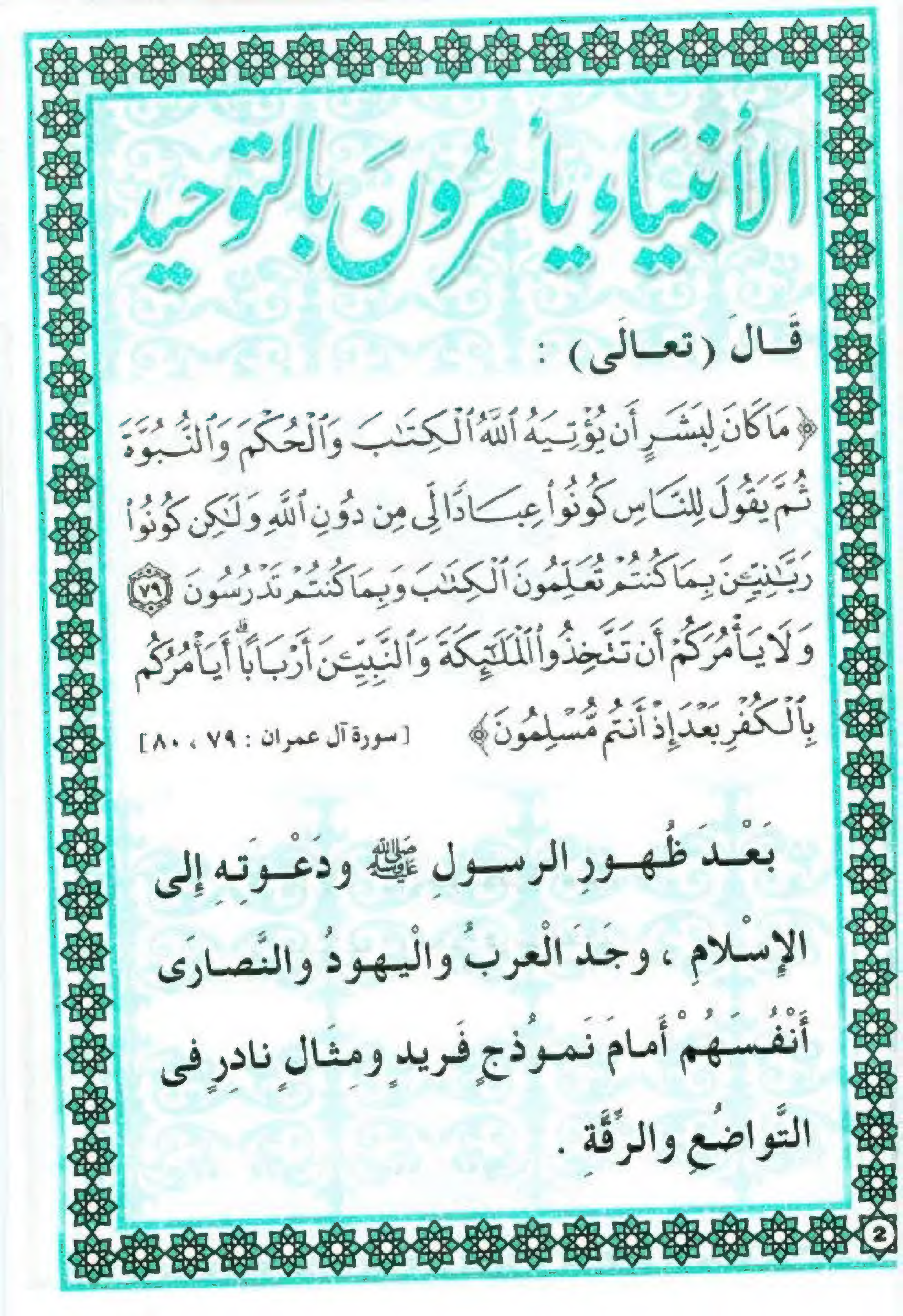
قصة آية

24

الأنبياء يأمرون بالتوحيد

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



الأنبياء يأمرون بالتوحيد

قَالَ (تعالَى) :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠]

بَعْدَ ظُهُورِ الرسولِ ﷺ ودَعْوتِهِ إِلى الإِسْلامِ ، وجَدَ الْعربُ والْيهودُ والنَّصارَى أَنْفُسَهُمْ أَمامَ نَموُذجٍ فَريدٍ ومِثَالٍ نادرٍ فى التَّواضُعِ والرِّقَّةِ .

فَقَدْ كانَ الْمُلوكُ والْحُكّامُ يَضْرِبونَ الْمَثَلَ فى الْكِبْرِ والظُّلْمِ ، بَيْنما كانَ رسولُ اللَّه ﷺ آيَةً فى التَّواضُعِ والْبِرِّ بِالْفُقَراءِ ، وآيَةً فى التَّسامُحِ والصَّفْحِ عَنِ الأَعْداءِ .

واجْتمعَ جماعَةٌ مِنَ الْعَربِ والْمُسْلِمينَ وقالُوا :

ـ إِنَّنا لا نَعْرِفُ كَيْفَ نَحَيِّى رسولَ اللَّهِ ﷺ التَّحِيَّةَ اللاَّئِقَةَ .

وقالَ أَحدُهُمْ :

ـ إِننا نُحَيِّيهِ ونُسَلِّمَ عليْهِ كما نُحيِّى أَنْفُسَنا ،

ولا نَعْرِفُ إنْ كانَ ذلك يُغْضِبُهُ أمْ يُرْضِيه .

وقَرَّرَ أحَدُهم أَنْ يَذْهَبَ إلَى الرَّسولِ ﷺ ويَسْأَلَهُ في ذَلِك ، وقالَ لأَصْحابِه :

- سوْفَ أَذْهَبُ إلى رسُولِ اللّه ﷺ وأَسْأَلُهُ عَنِ الطَّريقَةِ التى يُحِبُّ أَنْ نُحَيِّيَهُ بها .

فوَافَقَهُ الْحاضِرونَ وقالُوا :

- نَعَمْ ، فإِنَّ رسولَ اللّه ﷺ إِنْسَانٌ غَيْرُ عَادِيٍّ ، يَجِبُ أَنْ يَلْقَى مِنَّا التَّعْظِيمَ والتَّوْقِيرَ اللازِمَيْنِ .

وانْطَلَقَ الرَّجُلُ حتى ذَهَبَ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، وألْقَى (عليهِ السَّلامَ) ووقَفَ مُرْتَبِكًا

فسأَلهُ رسولُ اللَّه ﷺ عمَّا بِه فقالَ الرَّجُلُ :

ـ يا رَسُـــولَ اللَّهِ ، إِنَّنَا نُسَلِّمُ عليْكَ ونُحَيِّيكَ كما يُسَلِّمُ بعْضُنَا على بَعْضٍ .

وأَضافَ الرجُلُ :

ـ ونَحْنُ لا نَعْـرِفُ إِنْ كـانَ هذا يَكْفِى للاحْتِفَاء بكَ وأَنْتَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِين ، وقدْ أرْسَلَنى أصْحَابُكَ لِكَىْ أسْأَلَكَ :

هلْ نَسْجُدُ لكَ يا رسُولَ اللَّهِ ؟

فقالَ له الرَّسولُ ﷺ :

ـ لا يَنْبَغِى أَنْ يُسْجَدَ لأَحَدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ ،

ولكِنْ أَكْرِمُوا نَبِيَّكُمْ ، واعْرِفُوا الْحَقَّ لأَهْلِه .

وانْصَرَفَ الرَّجلُ لِكَى يُعْلِمَ أَصْحابَهُ بما دارَ بَيْنَهُ وبَيْنَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بَعْدَ أَنْ أَدْرَكَ الْفَرْقَ بَينَ تَعْظِيمِ قَدْرِ الرسولِ ﷺ وإكْرَامِه وبَيْنَ السُّجودِ لهُ وعِبادَتِه من دُونِ اللَّه .

وفى الْجَانِبِ الآخَرِ كانَ جَماعَةٌ مِنَ الْيَهودِ والنَّصارَى يتَحدَّثُونَ عَنْ تَواضُعِ الرَّسُولِ ﷺ فقال أَحَدُهُمْ :

- إِنَّنى لا أَعْرِفُ أَحدًا بِمثْلِ هذا التَّواضُعِ ، فهَوَ يَخْرُجُ إلى أَصْحابِهِ ويُجالِسُهُمْ فى أَىِّ

وقْتٍ ، ولا يَتكَبَّرُ عَنْ مُشَارَكتِهِمْ في أفْراحِهِمْ وأَتْراحِهِمْ .

وقالَ أَحَدُ النَّصارى :

ـ لماذا لا يَعْبُدُهُ الْمُؤْمِنونَ بهِ كما نَعْبُدُ نَحْنُ عِيسَى بن مَرْيَمَ ؟

وقالَ رجُلٌ يهُودِىٌّ اسْمُهُ أَبو رَافِعٍ :

ـ عِنْدِى فِكْرَةٌ !

فسأَلوهُ في لَهْفَةٍ :

ـ وما هىَ ؟

فقالَ :

ـ لِماذَا لا نَذْهَبُ إِلَى مُحمدٍ ونَعْرِفُ مِنْهُ

سِرَّ هذا التَّوَاضُعِ ، ولِمَاذا لا يَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ بِعِبَادَتِه ؟

وانْطَلَقَ الْوَفْدُ الْمكَوَّنُ من بَعْضِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ والنَّصَارَى إِلى رسولِ اللّه ﷺ ، فدارَتْ بيْنَهُما مُجَادَلاتٌ طويلَةٌ ، أَوْضَحَ لَهُمُ الرسولُ ﷺ خِلالَها أَنَّ الإِسْلامَ هو دِينُ الرَّحْمَةِ والتَّوَاضُعِ ، وأَنَّهُ الدِّينُ الذى ارْتضاهُ اللّهُ لِلْعالَمِينَ .

كانَ الْيَهُودُ والنَّصَارَى يسْتَمِعُونَ إِلى الرسولِ ﷺ ، ويشْعُرُونَ بصِدْقِ حَدِيثِه . لَكِنَّهُمْ فجْأَةً قالوا لِرسُولِ اللّه ﷺ :

ـ لدَيْنا سُؤالٌ نُرِيدُ أَنْ نَعْرِفَ إِجَابَتَهُ مِنْكَ .

فسَمَحَ لهمْ رسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَرْحِ سُؤَالِهِمْ

فقَالُوا :

ـ يا مُحمَّدُ أَتُرِيدُ أَنْ نَعْبُدَكَ ونَتَّخِذَكَ ربًّا ؟

فقالَ الرَّسولُ ﷺ :

ـ معاذَ اللَّه أنْ يُعْبَدَ غيرُ اللَّهِ ، أَوْ نأْمُرَ

بعِبَادَةِ غيْرِ اللَّه .

ثم قالَ ﷺ :

ـ ما بِذَلِكَ بعَثَني ، ولا بِذَلِكَ أَمَرَني !

وتأكَّدَ الْيَهود والنَّصارَى مِنْ صِدقِ



رسـول اللّه ﷺ وأيقنوا أنهم أمام شخص فريد ونموذج فذ .

وأنزل اللّه (تعالى) على نبيه قوله :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾

وقيل :

- إن هذه الآية نزلت في نصارى نجران حين عبدوا عيسى (عليه السلام) ، وزعموا أنهم يعبدونه حبًا في اللّه وتقربًا إليه ، فرد اللّه عليهم بأنه (سبحانه وتعالى) هو وحده المستحق للعبادة ،

ولا يُمْكِنُ لِنَبِيٍّ أَنْ يزْعُمَ أَنَّهُ يستحِقُّ الْعِبَادَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، ولوْ فعلَ ذلكَ لَسَلَبَهُ آياتِ النَّبُوَّةِ ومُعْجِزاتِ الرِّسالَةِ .

إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعَا أصْحَابَهُ إِلَى التَّوحِيدِ الْخالِصِ ، وأَمَرَ الْمُسْلمين بإِخْلاصِ الْعِبادَةِ لِلَّهِ وحْدَهُ فقالَ ﷺ :

ـ لا تُطْرُونِى كَما أَطْرَتِ النَّصارَى عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ . أَىْ لا تُبالِغوا فى مَدِيحِكُمْ لى بما يَتَنَافَى مع كَوْنِى بشَرًا يُوحَى إِلَيْهِ .

لكنَّا فى الْوَقْتِ ذاتِهِ مُطالَبُونَ باحْتِرامِهِ ﷺ وتَوْقِيرِهِ وتعْظِيمِهِ ، وذلكَ يكونُ باتِّبَاعِ سُنَّتِهِ



والصَّلاةِ عليْهِ والدّعاءِ له عقِبَ كُلِّ أذانٍ .

قَـالَ (تعـالَى) :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [سورة الأحزاب :٥٦ ، ٥٧]

وقالَ ﷺ :

- رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ - أَىْ هَلَكَ - ذُكِرَ اسْمِى عِنْدَهُ ولَمْ يُصَلِّ علَىَّ .

لقَدْ كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِثَالاً يُحتَذَى فى التَّواضُعِ ، ومِثَالاً يُحْتَذَى فى حُبِّ أُمَّتِهِ

وشَفَقَتِهِ علَيْهِمْ ، ولذَلكَ يجبُ علَى الْمسْلِمين احتِرَامُهُ وإِجْلالُهُ وحُبُّهُ وطاعَتُهُ واتِّبَاعُهُ .

إِن الأَنْبياءَ والْعُلَماءَ يأْتونَ يومَ القِيامةِ وكُلٌّ مِنْهم يقُولُ :

ـ يا رَبُّ نَفْسِي نفسِي ..

بَيْنَما يَجيءُ الرسولُ ﷺ ويقولُ :

ـ يا ربُّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي .

ويظَلُّ يسْأَلُ ربَّهُ الشَّفَاعَةَ لأُمَّتِهِ حتى يأْذَنَ لهُ فَيَشْفَعَ لِلْعُصاةِ والْمُذْنِبِينَ مِنْ أُمَّتِهِ ،

وهذه كَرَامَةٌ أعْطاهَا اللَّهُ لِنَبيِّه ﷺ فهو أَوَّلُ شَفِيعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ .

وفى هذه الأَيَّامِ ظَهَرَ مِنْ أُمَّةِ مُحمد ﷺ رِجَالٌ لا يُوقِّرُونَهُ حَقَّ تَوْقِيرِه ولا يَحْتَرِمُونَهُ الاحْتِرامَ اللائِقَ به ، وذلكَ بعَدَمِ اتِّبَاعِهِمْ لِسُنَّتِهِ وعدمِ تصْدِيقِهِمْ بكُلِّ ما يقُولُ ، ويزْعُمُ بعْضُهُمْ أَنَّ الأَحادِيثَ الشَّرِيفَةَ لَيْسَتْ مُهِمَّةً ، ولا يُعْتَدُّ بها ، وهذا كَلامٌ لا صِحَّةَ لهُ ، لأَنَّ الأَحاديثَ الصَّحِيحَةَ التى قالَها النبىُّ ﷺ ما هِىَ إلاَّ وحْىٌ مِنَ اللَّه ، ويَجِبُ الْعَمَلُ بها كالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .



قَـالَ (تعـالَى) :

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [سورة النور : ٥٤]

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدِنا محمدٍ فى الأَوَّلين ،

وصَلِّ على سيِّدنا مُحمدٍ فى الآخِرينَ ،

وصَلِّ على سَيِّدنا مُحمدٍ فى المَلإِ الأَعْلَى

إلَى يَوْمِ الدِّينِ .

دعاء

اللهُمَّ مـا أَصْـبحَ بى مِنْ نعْـمـةٍ فـمنْكَ وحْـدَكَ لا شريكَ لكَ ، فلكَ الْحـمـدُ ولكَ الشكْرُ ، يا رب لكَ الْحـمـدُ كـمـا ينبـغى لجلالِ وجْهِكَ وعظيمِ سُلْطانكَ ، سبحانَ اللَّه وبحـمْده عددَ خلْقه ، ورضَا نفْسـه ، وزِنَةَ عـرْشـه ومِـدادَ كلمـاته ، باسْمِ اللَّه الذى لا يَضُـرُّ مع اسْـمـه شىءٌ فى الأَرضِ ولا فى السَّماءِ وهو السميعُ العليمُ !

رقم الإيداع : ٩٢٠٥ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : ٤ - ٦٣٢ - ٢٦٦ - ٩٧٧